يرثي شعر التفعيلة ويدعو الى حفل تكريم لرفاته!!

جاد الحاج: قصيدة النثر هي الشاهد الوحيد على معاصرة أدبنا لآداب العالم ومواكبة تطورها

بيروت - ليندا عثمان:

■ من ملبورن في استراليا.. الى لندن، واميركا ولبنان، يتنقل الشاعر والروائي الباحث جاد الحاج من محطة الى محطة.. ومن لغة الى اخرى.. يرسم من خلالها حكايا لمطارح الحياة والحب والانسان والهجرة والوجع، الكون والوجود هذا. الشاعر الذي اصدر اخيراً رواية بعنوان «الهجر الاخيرة» عن دار «باناش» في ملبورن استراليا في مئتي صفحة من الحجم الوسط كان قد وقع روايته هذه خلال مهرجان الكتاب الاستراليين في سيدني وملبورن، عقدت ثلاث ندوات حول الرواية في سيدني وملبورن، شارك فيها كتاب وشعراء استراليون واعلاميون عرب. وفي ذلك وصف الناشر «كيث سمايلي» الرواية بأنها «وصف دقيق وشخصي لاشكاليات حديثة». كالحب في الشتات والصدمة الحضارية ومعاناة الانتماء. الا انها قبل كل شيء قصة حب مؤثرة ومرآة تعكس تفاصيل لم نعهدها من قبل حول الشخصية اللبنانية في العالم.

جاد الحاج الذي يعمل حالياً في صحف عربية عدة في الخارج ويترجم ويعد قصص «عبير» المنتشرة في مختلف البلدان.. التقته «السياسة» وحاورته بدءاً بالسؤال حول:

● ما هية روايته وماذا تحمل ولماذا «الهجرة الاخيرة»؟

■ هذه الرواية هي عصارة تجربة عمرها اكثر من عشرين سنة من العيش في بلاد الاغتراب خصوصاً بريطانيا، واستراليا وهي مرآة تعكس واقع الشتات اللبناني من خلال قصة حب عاشها بطل الرواية الذي يأتي من الجنوب اللبناني وبالضبط من قرية «قانا» وبينما يعيش هذا البطل المدعو «اشرف سعد» انهيار علاقته العاطفية وضياعه في ازمة لندن تقع مأساة «قانا» وتلك المأساة هي رمز لكل ما عاناه اللبنانيون في سنوات الحرب الطويلة حيث يقتل عدد كبير من الابرياء في لحظة من لحظات التطاحن الاقليمي. ولا يؤثر موتهم، الفاجع على مسيرة هذا التطاحن ولا بأي شكل.. اي ان اللبناني مات سدى في غمرة الصراع العربي الاسرائيلي ولم يعط حقه كانه لم يكن.

● لماذا «قانا» بالتحديد؟

■ بالنسبة الي مرة اخرى، «قانا» هي الحدث الاليم الذي وقع وهز كل لبنان. لان لبنان المعذب من وضعه او من موقعه الجغرافي ومن وجوده في مرمى النيران الاقليمية باستمرار هو الضحية الاولى في هذا الصراع لان الصراع يؤثر تأثيراً سلبياً على نشوء وتطور المجتمع اللبناني في اتجاه طموحات النخبة من ابنائه. فكلما تمكنت هذه النخبة من التأثير على التيارات السياسية في البلد لتغيير الواقع الاقطاعي الطائفي الذي طالما شدنا الى الوراء، يأتي الصراع العربي الاسرائيلي ليقذف بنا نحو الهاوية الطائفية من جهة اخرى، لقد اجهض لبنان الغد اكثر من مرة بسبب هذا الصراع.

● تقول بالنخبة، من هي هذه النخبة ومن تقصد؟

■ هي كل الطليعيين والتقدميين الذين اشتغلوا خارج مدارات السياسة التقليدية وسياسة الركود والامر الواقع. ومنهم الليبرالي، ومنهم الاشتراكي والقومي ومنهم غير المرتبط سياسياً بأي جهة بل يتطلع الى مجتمع علماني حضاري في لبنان.

● لماذا كانت الرواية التي اصدرت اخيراً بالانكليزية؟

■ هناك اكثر من سبب: الأول انني عملت في الاعلام خلال فترة اقامتي في بلاد ناطقة بالانكليزية فكانت كل مطالعاتي وترجماتي من الانكليزية. وبات الانكليزية جزءاً لا يتجزأ من يومياتي. السبب الثاني، ان التعبير بالانكليزية اليوم يؤدي الى تواصل اكبر مع القراء حول العالم من دون حاجة الى مشكلات الترجمة ومصاعبها. السبب الثالث ان واقع النشر في العالم العربي راهنا لا يشجع كثيراً على الكتابة فبعد سبع مجموعات شعرية، ورواية ومجموعة قصص قصيرة اكتشفت ان كتبي تتوارى وتختفي بين الموزع والناشر والمكتبة والمخازن الغامضة بينما عالم النشر في اوروبا واستراليا واميركا واضح ومراقب ومقيد بقوانين ولا يتأثر الا بجودة النص. فالنص نفسه هو تأشيرة العبور الى القارىء لا الوساطات ولا الشلل الثقافية ولا المبالغ التي تصرف احياناً على كتب قيمتها الوحيدة وزن الورق الموجود بين دفتيها وباختصار الطاسة ضائعة في عالم النشر.

وانا واحد ممن تعبوا كفاية في هذا المجال فقررت ان اهاجر هجرة كاملة الى لغة اخرى وحتى اشعار اخر.

■ النص نفسه تأشيرة العبور إلى القارىء لا الوساطات

• • •

■ المكان حالة نفسية أكثر مما هو واقع جغرافي

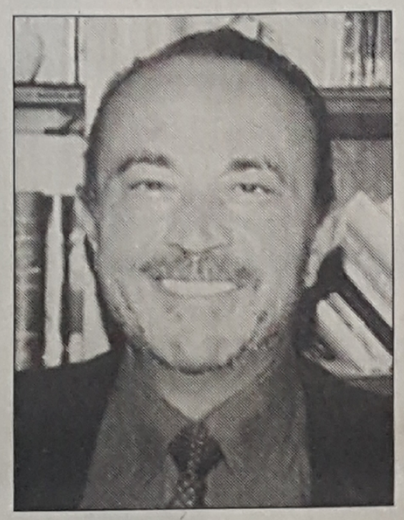

■ جاد الحاج ■

● نعرف انك الشاعر المشاكس اين اصبح الشعر عندك، وماذا عنه؟

■ الشعر حالة مستمرة لا يمكن ان نضبطها ضبطاً منظماً وعلاقتي به علاقة «هوى» تعصف وتبرد على فترات احياناً تسبقني القصيدة الى القلم والورقة وكأنها كانت مختزنة في داخلي، وفجأة بلغت نضوجها. واحياناً تأتي على دفعات كالموج الكسول فأسجلها في دفتري وانتظر الموجة التالية ربما اكتب ديواناً في اسبوع وربما لا اكتب قصيدة في خمس سنوات مثلاً.

القصيدة عندي سؤال بلا جواب دائماً تأتي لتؤكد حالة نفسية او وجدانية معلقة في مدار الحيرة وحين تكون القصيدة مناجاة او فورة من فورات الاسف والاسى والسخط كما في قصائدي عن الحرب تحمل معها شحنة درامية تصلح للاداء المسرحي وهذا ما اكتشفه اصدقائي الممثلون الذين اقاموا (12) امسية شعرية لي في لبنان خلال العام 2000 و 2001.

● كتبت في الصحافة الثقافية ولك توجهاتك كيف وظفت هذه التوجهات؟

■ العمل في الصحافة كالجلوس قرب بئر مليئة بالماء يمكن للكاتب ان يغرف منه الكثير وان يتعلم الكثير. ففي الصحافة نحن على احتكاك دائم مع الحياة بكل تجلياتها وشروطها وعلى تماس دائم مع الانسان على مختلف مستوياته فبقدر ما تأخذ الصحافة من وقتنا تعطينا من تجربتها خصوصاً في مجال الرواية والمسرح حيث نفيد من ممارسة اللغة المبسطة المباشرة الاقرب الى شرائح واسعة من الناس.

● لك توجهات نقدية وابداعات، ماذا عنها واين انت اليوم منها؟

■ النقد عندنا اما ان يكون نقداً اكاديمياً منهجياً يبقى عادة في الحيز الجامعي او يتحول الى حالة مواجهة يشتبك فيها الثقافي والاجتماعي اشتباكاً غير صحي. فالبلد صغير والكل على علاقات شخصية والكتاب يعرفون بعضهم بعضاً ويكتبون عن بعضهم والعاملون في الصحافة يعرفون العاملين في المسرح وانا واحد من الذين تعلموا ان يفصلوا فصلاً حاداً بين الشخصي والمهني. واعتقد ان اصدقائي الحقيقيين هم الذين يعرفون كم انا غير مهادن في نظرتي النقدية خصوصاً تجاه الاصدقاء بالطبع هذا الواقع اورثني صفة المشاكس وعرضني الى مواجهات كثيرة مع اشخاص اعتقدوا ان لي ثاراً عليهم.. ولم يكن ذلك صحيحاً.

● ما تأثير المكان على كتاباتك الابداعية؟

■ المكان بالنسبة الي مغترب مثلي عاش في اماكن عدة يصبح حالة نفسية اكثر مما هو واقع جغرافي فانا في «سيدني» مثلاً لست بعيداً عاطفياً او وجدانياً عما هو حاصل في لندن. بل كأنني في المكانين في الوقت نفسه او في اكثر من مكان.. يبدو لي انني احمل المكان في داخلي ولذلك تجدينني في «لا مكان» باستمرار الزمان موضوع اخر، اشكالية صعبة خصوصاً عندما يكون جزءاً من مادة الكتابة لاننا في مهنة الكتابة نغرف من تجربتنا «المعيشة» او المعاشة وهي بطانة الزمن الذي مررنا به فأحيانا اكون في العاشرة من عمري واحياناً في التسعين وبين هذه وتلك يبدو الزمان اقرب الى سيرك تتقلب فيه الحالات والمشاهد بين الماضي والحاضر وما يسمى بالـ «مخيال» او «المتخيل».

● كيف تنظر الى الشعر الحديث، وهل برأيك يحارب هذا الشعر الان؟

■ الحديث بات قديماً فالشعر الحديث كما افهمه بدأ في الخمسينات من القرن الماضي ومات معظم ابطاله. وفي الاجيال الثلاثة التالية لم ينشأ شعر غير حديث هناك بعض المحاولات لينبش قبر القصيدة التفعيلية واقامة حفلة تكريم لرفاتها ومن وقت الى اخر نقرأ قصائد ممتازة جداً في هذ المجال غير ان واقع الشعر العربي العام ككل، هو اليوم واقع القصيدة الحرة التي توطدت واصبحت الشاهد على معاصرة ادبنا لاداب العالم منذ العدد الاول لمجلة شعر.

● لك تجربة في الالم ماذا عنها؟

■ المرض تجربة عظيمة لانه يضع الانسان امام الهاوية امام واقع الموت. ويحيل كل التفاصيل الى نقطة واحدة هي ان نكون او لا نكون وحين يتحدى المرء الموت ويصارعه ويراه بعينيه اي يقترب منه اقتراباً حقيقياً بالجسد والروح يكتشف كم هي ثمينة نعمة الحياة وكم نحن اغبياء كلما بددناها عبثاً.